

المرأة في التراث الثقافي النوبي

أ. لمياء حسان يونس حجاج(*)

أ.د. محمود عبد الحميد (**) أ.د. علياء الحسين (***) د. تامر محمود (****)

• ملخص:

هدفت الدراسة تناول عناصر ومكونات التراث الشعبي النوبي والذي يقصد به يقصد به توريث وانتقال حضارات السلف للخلف، أي انتقال حضارة القدماء الأجداد إلى الأجيال الحالية، لتستمر عملية الانتقال بين الأجيال، وهذا التوريث لا يقف عند حد انتقال اللغة والفكر والأدب فحسب بل يشمل كافة الجوانب المادية والشعورية والوجدانية للمجتمع ويندرج ضمن ذلك الفكر والفلسفة والعقيدة والفنون والتصاميم المعمارية، وخصائص التراث الشعبي النوبي، والنظم المؤثرة في التراث الشعبي النوبي، ومكانة المرأة في التراث الشعبي النوبي، و مكانة المرأة النوبية في الماضي، ومكانة المرأة النوبية في الحاضر، و المرأة النوبية والقضاء العرفي، والنظرة الإيجابية للمرأة النوبية.

وتوصلت الدراسة الى أن التراث الشعبي النوبي رسم الإطار الذي تتحرك فيه المرأة النوبية فمن ناحية قد أعطى التراث الشعبي المرأة النوبية بعض من حقوقها كحقها في المشاركة في العمل والأنشطة الاقتصادية باعتبارها عضو فاعل في المجتمع، كما منحها الدور الرئيسي في عملية التنشئة الاجتماعية والتي عبرها يتم تناقل التراث الشعبي النوبي، كذلك منحها التراث الدور الأهم في حماية التراث الثقافي الشعبي، ومن ناحية أخرى سُلِبت المرأة النوبية الكثير من الحقوق ما جعلها في منزلة متواضعة عاجزة عن الخروج منها بالرغم من أدوارها الفاعلة في المجتمع.

الكلمات المفتاحية: التراث الشعبي، مكانة المرأة، النوبة السودانية، التنشئة الاجتماعية

(*) باحث دكتوراه بقسم الأنثروبولوجيا بكلية الدراسات الأفريقية العليا - جامعة القاهرة

(**) أستاذ علم الاجتماع بمعهد الدراسات الإسلامية - القاهرة

(***) أستاذ الأنثروبولوجيا بكلية الدراسات الأفريقية العليا - جامعة القاهرة

(****) مدرس الأنثروبولوجيا بكلية الدراسات الأفريقية العليا - جامعة القاهرة

Women in Nubian Cultural Heritage

Lamia Hassan Younis Hajjaj

Prof. Dr. Mahmoud Abdel Hamid

Prof. Dr. Alia Al Hussein

Dr. Tamer Mahmoud

- **Abstract:**

The study aimed to address the elements and components of Nubian folklore, the characteristics of Nubian folklore, the systems influencing Nubian folklore, the status of women in Nubian folklore, the status of Nubian women in the past, the status of Nubian women in the present, Nubian women and customary justice, and the positive outlook For Nubian women.

The study concluded that Nubian folklore has drawn the framework in which Nubian women move. On the one hand, folklore has given Nubian women some of their rights, such as their right to participate in work and economic activities as an active member of society, It also gave her the main role in the socialization process through which the Nubian folk heritage was transmitted. Heritage also gave her the most important role in protecting the popular cultural heritage. On the other hand, Nubian women were robbed of many rights, which placed them in a humble position that they were unable to escape from, despite their active roles in the society.

Key words: Folklore, the status of women, the Sudanese Nubian, Socialization



• تمهيد:

لا تتقدم المجتمعات الإنسانية إلا بتضافر وتكاتف كافة جهود أبنائها، وفي مقدمتها الوظائف والأدوار الأساسية التي تمارسها المرأة سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة في جميع ميادين الحياة، من منطلق أن ذلك ركن رئيسي في بنيان كيان المجتمع والثقافة على حد سواء، وذلك عبر مسيرة الحياة الإنسانية من منطلق كونها تشكل واحدة من أبرز فئات وشرائح المجتمع مع غض الطرف عن اختلاف منزلتها وتباين مهامها ووظائفها وفق تباين بيئتها التي تنتمي إليها.⁽¹⁾

في هذا الإطار نلاحظ أن المرأة في المجتمع الأفريقي بصفة عامة والمرأة النوبية بصفة خاصة قد نالت اهتمام كبير وحظيت بمنزلة رفيعة مميزة منذ الأزمنة التاريخية القديمة، وهو ما أكدته التاريخ مراراً وتكراراً.

المنزلة الرفيعة التي وصلت إليها المرأة النوبية تؤكد بما لا يقبل الشك درجة أصالة وعمق سمو وعظمة المرأة المصرية في العصور التاريخية، فقد أكدت الدراسات والأبحاث التي قام بها الباحثين الذين عكفوا على دراسة الجماع البشرية في الدولتين المصرية والسودانية، أنهما يعودا إلى سلالة واحدة تعرف باسم السلالة الحامية، وقد أكدت تلك الدراسات أن تلك السلالة استطاعت الحفاظ على نقائها حتى عهد الأسرة الثامنة عشر أي حتى عام 1580 قبل الميلاد.²

وتوجد الكثير من البراهين المادية وغير المادية التي تؤكد بما لا يقبل الشك علو منزلة المرأة المصرية بصفة عامة والنوبية بصفة خاصة، وهي منزلة لم تصل إليها المرأة في أي حضارة أخرى من حضارات العالم القديم.

(1) زينب عبد التواب رياض، (2024)، العادات والتقاليد المرتبطة بالزواج والحمل والولادة في المجتمعات النوبية بين التراث والموروث، الثقافة الشعبية، أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، مج17، ع65، ص 101.

وهو ما يمكن إزالة الغطاء عنه وبيانه بشكل واضح، حينما نمعن النظر ونتعمق في البحث والدراسة في تاريخ المرأة النوبية ومنزلتها الرفيعة التي وصلت إليها على مر الأزمنة والعصور، بجانب المهام والأدوار العظيمة التي قامت بها وما زالت تقوم بها في جميع الميادين في جميع جوانب الحياة، لاسيماً من الجانب الثقافي، من منطلق أن المرأة النوبية تعتبر بمنزلة العنصر والركن الرئيسي في حماية جميع الموروثات التقليدية المتوارثة التي تنتقل عبر الأجيال عبر الزمان والمكان.

ولا ريب أن الثقافة النوبية بصفة عامة قد منحت وصقلت المرأة بسمات وصفات مميزة، جعلتها قادرة على التمتع بها أينما كانت، وهي تلك السمات والمكونات الشعبية ذات العلاقة الوطيدة بطبيعة هذه البيئة الثقافية التي نشأت وترتبت بداخلها منذ الأزمنة القديمة.⁽¹⁾ فالتراث الشعبي النوبي حافل ومليء بالكثير عن المرأة النوبية، فالمجتمع النوبي من أكثر المجتمعات تشبهاً بالتراث الخاص به، مما يوطد الثقة بين التراث الشعبي النوبي وبين مكانة المرأة في المجتمع النوبي، أي أن منزلة المرأة في المجتمع النوبي يرسمها ويحددها التراث الشعبي النوبي.

ونشير هنا إلى بعض المفاهيم:

التراث:

يقصد به توريث وانتقال حضارات السلف للخلف، أي انتقال حضارة القدماء الأجداد إلى الأجيال الحالية، لتستمر عملية الانتقال بين الأجيال، وهذا التوريث لا يقف عند حد انتقال اللغة والفكر والأدب فحسب بل يشمل كافة الجوانب المادية والشعورية والوجدانية للمجتمع ويندرج ضمن ذلك الفكر والفلسفة والعقيدة والفنون والتصاميم المعمارية.

التراث الشعبي:

يعني ذلك العلم الذي يضم إجمالي العادات والتقاليد والأفكار الماثورة لدى شعب من الشعوب الإنسانية بشرط أن ترتبط هذه العادات والأفكار بالسلوك الجمعي لمختلف شرائح وفئات هذا الشعب.⁽²⁾

(1) المرجع السابق.

2- وائل محمد كامل السيد، (2020)، رؤية معاصرة لمفهوم التراث النوبي في التصميم الداخلي

للمنشآت السياحية، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، عدد خاص، ص 87.



وهناك من أشار إلى كونه إجمالي الرموز وصور التعبير الفنية والجمالية وكذلك الأعراف والأشكال السلوكية، بالإضافة إلى التقاليد والأفكار، والاتجاهات، التي تنتقل عبر الأجيال ويبقى وجودها في المجتمع بحكم انسجامها مع الظروف الجديدة واستمرار أدوارها القديمة أو إضافة مهام جديدة لها.¹

فمهوم مكانة المرأة عرف في قاموس العلوم الاجتماعية بأنها " مركز يتصل بتوزيع الهيبة داخل نظام اجتماعي معين ويتصل بتوزيع الحقوق والواجبات والسلطة ضمن النظام ذاته"²

تعرف بأنها " الحفاظ على شأن المرأة وتكريمها من خلال الاعتراف بحقوقها وفي المقابل عليها أن تؤدي واجبها بإخلاص وأماكن على كافة الأصعدة ذات الصلة بها"³. وعرفت بأنها " الهيبة أو المقام أي انها عبارة عن مركز اجتماعي يصل اليه الفرد بفضل تقدير الآخرين له".

وعرفت بأنها " الوضع أو الموقع الذي يحتله الفرد ضمن البناء الاجتماعي والذي يتحدد من خلال التعليم أو الدخل أو المهنة أو المستوى الثقافي"⁴.

2- خميس حياة، (2021)، التراث الشعبي (المفهوم والأقسام وأساليب جمعه)، مجلة الدراسات الأكاديمية، مجلة الدراسات الأكاديمية، مج3، ع4، ص 159.

2 - دنيا زاد موساوي، وإبراهيم بلعادي، (2018)، اتجاهات الطلبة الجامعيين نحو المكانة الاجتماعية للمرأة في المجتمع الجزائري: دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة أفاق للعلوم، ع (13)، ص: 299.

3 - سماح محمد حلاوة، وجمال محمد عبد البر أبو الوفا، ونسمة عبد الرسول عبد البر، (2023)، حماية مكانة المرأة وتمكينها على ضوء متغيرات العصر والاتجاهات العالمية المعاصرة: رؤية نقدية ونظرة تربوية، مجلة كلية التربية، جامعة بنها، مج (34)، ع (135)، ص ص: 645-676، ص: 650.

4 - صلاح الدي شروخ، (2004)، علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 44.

وعرفت بأنها " مسعى كل إنسان، فالناس يبذلون الجهود من أجل الحصول عليها وهي مجمل التقديرات التي يحظى بها الفرد من طرف جماعته التي ينتمي إليها أو مجتمعه ككل"¹.

وعرفت بأنها " الشرف الاجتماعي أو الهيبة التي يضيفها بعض أعضاء المجتمع على جماعة بعينها وعادة ما تتسم الجماعات ذات المكانة بأسلوب مميز للحياة"².

ويتضح من خلال التعريفات السابقة ان المكانة الاجتماعية ركزت على فكرة الهيبة والتقدير الاجتماعي الذي يحظى به الفرد من قبل الآخرين وهي مرتبطة بالوضعيات التي يشغلها الفرد ضمن النسق الاجتماعي".

وعرفت بأنها " الوضع الذي يحتله الفرد في نسق العلاقات الاجتماعية القائمة وذلك بالمقارنة الى أوضاع الافراد الآخرين المناظرين له، والمكانة الاجتماعية للفرد هي التي تحدد الحقوق والواجبات وسلوكيات هذا الفرد وطبيعة العلاقات الاجتماعية بين ذلك الفرد وغيره من أفراد المجتمع"³.

التعريف الاجرائي لمفهوم مكانة المرأة يتمثل في:

هي المنزلة أو المرتبة التي تحتلها المرأة وهي مقدار الهيبة أو التقدير الذي تتمتع به المرأة من قبل الآخرين في إطار العلاقات الاجتماعية التي تتسجها في المجتمع وفي إطار الأدوار والاعمال التي توكل اليها في المجتمع بمقارنتها مع نظيرها الرجل.

أولاً: عناصر ومكونات التراث الشعبي النوبي:

هناك أربعة أركان ومقومات للتراث الشعبي يأتي في مقدمتها ما يلي:

- 1 - نظمي فارس كمال، (2001)، الاعتقاد بعدالة العالم وعلاقته بالنقطة الاجتماعية المتبادلة لدى طلبة الجامعة، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، ص: 135.
- 2 - أنتوني غدنز، (2005)، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص: 764.
- 3 - حامد زهران، (1997)، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، ص: 176.



1. العادات والقيم:

تعد العادات والتقاليد السائدة في مجتمع ما من المجتمع جزء لا يتجزأ من تكوين التربية الأخلاقية، هذه الأخيرة التي تعد من أهم مقومات التراث الشعبي، فهي من المقومات الأساسية للتراث الشعبي.⁽¹⁾

ونجد أن العادات والتقاليد السائدة في مجتمع ما من المجتمعات تنبثق من القيم السائدة في المجتمع، فالقيم هي مصدر العادات والتقاليد السائدة في المجتمع، سواء كانت قيم سلبية أو إيجابية، فالقيم السلبية تؤدي إلى تقاليد وعادات سلبية، والعكس، نلاحظ أن القيم الإيجابية تؤدي إلى وجود قيم وعادات وسلوكيات إيجابية.

اللغة:

المقوم الثالث هو اللغة النوبية، والتي تتدرج ضمن أبرز الوسائل التي تستخدم لنقل ثقافة الأمة من الآباء والسلف إلى الأبناء، لهذا فإن مختلف الأمم والشعوب يحرصون على أن يتم التعليم باللغة القومية وأن تكون لغة رسمية، ويرجع ذلك إلى أن اللغة لا تخرج عن كونها ذاكرة الأمة التي فيها يتم تخزين التراث والقيم والمفاهيم. كذلك تعتبر اللغة الوسيلة الأساسية التي تستخدم من أجل تعزيز التواصل بين الماضي والحاضر، بين الآباء والأجداد وبين الأبناء.

فاللغة تعد من أهم مكونات الثقافة والتراث الشعبي فهي بمنزلة عنصر للتناغم والانسجام، لكافة المنظومات الاجتماعية وهي بمنزلة وسيلة للوصول إلى الكثير من الأغراض، في مقدمتها الانسجام والتناغم والحوار، فاللغة هي مفتاح ورمز أي بلد، وكلما تشبث بها أبناء المجتمع كلما تعززت العلاقات فيما بينهم، وهذا لا يحدث حينما يكون أبناء المجتمع الواحد يتحدثون عدة لغات فهذا يؤدي إلى إضعاف العلاقات بين أبناء المجتمع الواحد.

(1) ثناء هاشم محمد، (2019)، الهوية الثقافية والتعليم في المجتمع المصري: رؤية نقدية، مجلة

كلية التربية، جامعة بني سويف، عدد يناير، ج1، ص 130.

2. التاريخ الوطني:

أما المقوم الثالث فيتمثل في التاريخ الوطني، فهو بمنزلة وعي الأمة وإحساسها، فالتاريخ المشترك بالإضافة إلى اللغة من أبرز عناصر التراث الشعبي، ويوجد اتفاق وإجماع بين المتخصصين والباحثين على أن التاريخ يندرج ضمن أبرز ركائز التراث الشعبي.

3. الأدب الشعبي:

وهو يتضمن الكثير من الأنواع من أبرز الحكايات والقصص، والخرافات، والأقوال السائرة، والنكات والألغاز، وما إلى ذلك⁽¹⁾.

4. الثقافة المادية والفنون الشعبية:

فبالنسبة للثقافة المادية فيقصد بها الأشياء الثقافية وتشير إلى دراسة المكونات ذات الصلة بمنتجات السلوك الإنساني، وهي تساعدنا في معرفة الكثير من النقاط حول حياة الشعوب وثقافتهم، وأيضاً معرفة تاريخ وماضي الجماعات الإنسانية. أما بالنسبة للفنون الشعبية فهي تشير إلى الذوق الجمالي ويندرج ضمن الفنون الشعبية الرقص والموسيقى وكذلك الألعاب الشعبية الشهيرة والمنتشرة وما إلى ذلك.

5. التربية الأخلاقية:

وهناك التربية الأخلاقية ويقصد بها القيم الوطيدة التي يتشبث بها الشخص أو الجماعة باعتبارها معيار يتم استخدامه من أجل الحكم على سلوك الشخص، ويوضح له الإطار الذي يتبعه في تعامله مع ذاته ومع الغير، فالقيم تعتبر الموجه الأول للسلوك الإنساني، فالقيم الإيجابية توجه الشخص ناحية ممارسة السلوكيات الإيجابية، وهناك القيم السلبية التي توجه الشخص ناحية السلوكيات السلبية.⁽²⁾

(1) خميس حياة، مرجع سابق، ص 161.

(2) ثناء هاشم محمد، مرجع سابق، ص 130.



كما أوضحنا من ضمن مقومات التراث الشعبي هناك التربية الأخلاقية وهناك من يطلق عليها اسم القيم الدينية وكذلك الوطنية، تلك القيم التي تتألف على مر الزمان والتي تزود الشعب حامل التراث الشعبي بحماية تقف حجر عثرة أمام ذوبانه وانصهاره في أمم وشعوب أخرى، وتجعله قادر على التصدي لكل خطط التذويب والانصهار بغض النظر عن مصدر هذه المحاولات.⁽¹⁾

ثانياً: خصائص التراث الشعبي النوبي:

1. أنه حصيلة وثمرات اجتماعية وبشرية في نفس الوقت: فهو يشبع متطلبات بشرية مختلفة.
2. سمة الاكتساب والتعلم: فالإنسان وحده من يستطيع نقل كل ما تزود به من عادات وتقاليد وأفكار وسلوكياته لغيره من الأشخاص، فهو حصيلة التواصل الاجتماعي.⁽²⁾
3. معقدة: ويرجع ذلك إلى الصلة الوثيقة بين سماته، واشتماله وتضمنه للعديد من العناصر وتراكمها عبر القرون والأزمنة المتباعدة.
4. السمة الرابعة تتمثل في كونه التراث نامي ومتغير فهي تتبدل بتبدل أوضاع المجتمعات وتبدل الأشخاص وتغيرهم فليست ثابتة مع مرور الوقت.
5. انتقالي وتراكمي: فهو ليس نتاج ليلة وضحاها بل نتاج أوقات طويلة.
6. أنه تكيفي فهو يسعى إلى الانسجام مع البيئة الخارجية.
7. العمومية، فالعمومية واحدة من أهم السمات التي يتسم بها التراث الثقافي، حيث أن المادة الثقافية لكي تعد جزء لا يتجزأ من الفولكلور في المجتمع الذي تنتمي إليه ينبغي أن تكون معروفة ومتبعة من جانب أكبر عدد من أبناء هذا المجتمع، ولا بد وأن تكون شائعة في مختلف بقاع وأركان المجتمع.

(1) أسماء بن تركي، (2020)، الهوية الثقافية بين قيم الأصالة والحداثة في ظل التغيرات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص 632.

(2) بلالي عبد المالك، (2016)، مدخل إلى علم الاجتماع الثقافي. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين_ سطيف 2، ص 12.

8. التقليدية: من أهم السمات التي يتسم بها التراث الشعبي هو التقليدية، حيث أن المادة الفولكلورية ينبغي أن تكون تقليدية في المجتمع الذي تنتمي إليه أي لابد وأن تكون متوارثة وتنتقل عبر الأجيال.⁽¹⁾

9. الانتقال الشفوي: حيث أن غالبية التراث الشعبي يتم توارثه بين الأجيال بشكل شفاهي من خلال الكلمات المنطوقة، بل إنه يوجد من أشار إلى أن الانتقال الشفهي شرط أساسي في تعريف الفولكلور.

وبناء على ما سبق يظهر أن التراث الشعبي يتسم بمجموعة من السمات الفريدة والمميزة وهذه السمات تجعل التراث الشعبي فريد من نوعه، فهذه السمات هي التي تجعل التراث الشعبي لكل مجتمع يتميز عن التراث الشعبي لباقي المجتمعات الإنسانية، فالتراث الشعبي نابع من داخل المجتمع منبثق من تاريخ المجتمع عاداته وتقاليده ولغته وثقافته.

ثالثاً: العوامل المؤثرة في التراث الشعبي النوبي:

1. الموقع الجغرافي: وهي تتضمن البيئة الطبيعية أو الفيزيائية وتتضمن الموقع بجميع ما تتضمنه من مساحات خضراء ومياه كذلك تشمل وتتضمن المأوى نفسه والخدمات الملحقة، ونجد أن بلاد النوبة اشتهرت في التاريخ باسم بلاد الكوش النوبة العليا، ولفظ النوبة مشتق من لفظ "تب" ويقصد به الذهب في اللغة النوبية واللغة المصرية القديمة.

2. البيئة الاجتماعية: ويقصد بها الروابط المتبادلة بين الأفراد عبر الأسرة والمجتمع بأسره.

3. البيئة الروحية: وهي تشمل تقاليد وعادات الأفراد بشكل عام، وتشمل الأخلاقيات وروح التماسك والتعاون بين أبناء المجتمع الواحد.

(1) خميس حياة، مرجع سابق، ص 162



طبيعة المناخ: يعتبر المناخ من أبرز العوامل الرئيسية التي تتألف منها البيئة ويشترك في تقديم صورة فريدة للعمران يطال أثره البنيان والتركيب الداخلي للمناطق الريفية والحضرية وأيضاً تشييد المساكن، وله وظيفة رئيسية في زيادة حجم القدرة الإنتاجية للفرد.⁽¹⁾

4. **النظم الاقتصادية:** فنجد أن النظم الاقتصادي أجبرت الفرد النوبي على اتباع أنماط محددة من البناء وخامات معينة.

وبناء على ما سبق يظهر أن التراث الشعبي يتأثر بمجموعة من النظم المحيطة وهذه النظم تفرض سمات وخصائص معينة على التراث، فالتراث الشعبي لا يمكن أن ينشأ بمعزل عن هذه النظم، ويتباين هذه النظم يتباين التراث الشعبي، ولكن هذا التأثير لا يفرض نفسه بنسبة 100% على التراث الشعبي.

رابعاً: مكانة المرأة في التراث الشعبي النوبي:

تلعب العادات والتقاليد الخاطئة دور رئيسي في بناء وتشكيل ثقافات وسلوكيات المجتمع النوبي بصفة خاصة والمجتمعات الإنسانية بصفة عامة، فهي تدفع أبناء المجتمع تجاه تبني أفكار واتجاهات وطموحات تلك العادات، وذلك يشير إلى كونها تمثل تحدي أمام المجتمع، فهناك من يرى بأنها جزء لا يتجزأ من الدين، لهذا ينتشبتون بالعادات والتقاليد القديمة، ورفض أي شكل من أشكال التطور والتقدم، في حين أن هناك من يأبى تقبل فكرة التنوع والتعدد والتباين، من منطلق أن تلك العادات والتقاليد تفرض سيطرتها على عقول وسلوكيات المجتمع بأسره ومع مرور الوقت يجد الفرد نفسه عاجز عن التخلص من تلك العادات.

يتمتع كل مجتمع بتراث شعبي خاص به يميزه عن غيره من المجتمعات، وذلك التراث هو ما يحدد طبيعة دور كل عضو في المجتمع، خاصة المرأة، ففي المجتمع النوبي على سبيل المثال نجد أن التراث الشعبي يرتبط ارتباطاً وطيداً بمكانة المرأة

(1) وائل محمد كامل السيد، مرجع سابق، ص 90.

النوبية، فالمرأة النوبية تعرضت طيلة فترات كثيرة للتمييز والتقليل وذلك بسبب العادات والتقاليد السائدة في المجتمع، والتي أثرت بصورة سلبية على منزلة ومكانة المرأة وخلفت آثار كبيرة على النساء في مختلف ميادين الحياة.

ولكن التراث الشعبي النوبي كما يحمل بين طياته سلبيات خاصة بمنزلة المرأة ومكانتها فهو أيضاً يحمل الكثير من الإيجابيات، فعلى سبيل المثال نلاحظ أن الاقتصاد في المجتمع النوبي يركز في المقام الأول على الأعمال البسيطة كالزراعة والحرف البسيطة والتجارة في الإنتاج من أجل تلبية الاستهلاك الذاتي.⁽¹⁾

فالمجتمع النوبي يرى أن المرأة جزء لا يتجزأ من النشاط الاقتصادي فهي تشارك في الزراعة بطرق مختلفة، فكما هو معلوم فإن الزراعة هي النشاط الاقتصادي الأساسي في المجتمع النوبي، حتى أن أصحاب المهن الأخرى كالتدريس والتجارة يمارسون أيضاً حرفة الزراعة، وتشارك المرأة بشكل أساسي في هذه المهنة.

وبناء على ما سبق يظهر أن النشاط الاقتصادي للمرأة النوبية هو أبرز الأنشطة التي تركت فيها المرأة النوبية بصمة فيها، ونوضح أن هذا النشاط لعب دور رئيسي في تعزيز مكانة ومنزلة المرأة النوبية في المجتمع، فقدرتها على المشاركة في أعباء ومسؤوليات الحياة عزز من منزلتها ومكانتها.⁽²⁾

1- المكانة والدور الاجتماعي للمرأة النوبية:

يقصد بالمكانة والمنزلة الاجتماعية الوضع في الجماعة والمجتمع، وتُعد جزء لا يتجزأ من الثقافة، حيث أن ترتيب المنازل في أوضاع رأسية مسألة تركز بشكل كبير على عملية تقييم الجماعة للأفراد والأدوار، ويقصد بها الحقوق والواجبات ذات الصلة

(1) كرم أحمد حسن أحمد، (2021)، السمات التربوية المميزة للمجتمعين النوبي والسيوي في مصر على ضوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الثقافة والتنمية، جمعية الثقافة من أجل التنمية، س 21، ع169، ص 335.

(2) لينا نجيب فويله، (2023)، نمط حياة المرأة النوبية وحُليها التقليدية كمصدر إلهام لتصميم الأثاث المعاصر، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، مج 8، ع42، ص 545.



بهذه المنزلة وذلك الوضع، وكل مكانة ومنزلة في وضع اجتماعي لها مجموعة من المعايير والأسس ذات صلة بما يتوقع ويتنبأ حدوثه من شاغل هذه المكانة.

وبصفة عامة فإنه يتم النظر إلى المرأة في المجتمع النوبي على أنها مخلوق في غاية الضعف ينبغي حمايته في جميع الأوقات وكل الحالات، فخلال النزاعات والخلافات يتم تقادي المساس بالمرأة مع العلم أن المرأة هي المتضرر الأكبر من هذه النزاعات.⁽¹⁾

فبالرغم من أن المرأة في المجتمع النوبي تتسم بالقوة البدنية والعاطفية التي تكاد تكون قريبة من الرجل في بعض الأوقات، لاسيماً عند الإشارة إلى المهام التي تمارسها المرأة كل يوم، إلا أن دورها يظهر مهمش أو غير جلي وذلك من منظور التقسيم الذي وضعه ويليام لانسيستر الذي أشار إلى أن هناك المجال العام وهو خاص بالرجال، والمجال الخاص وهو ذو صلة بالنساء.

وتقوم مكانة ودور المرأة الاجتماعي في المجتمع النوبي على الفترات العمرية المختلفة لها، فقد اتضح أن منزلة المرأة ومكانتها يرتقيان في المجتمع النوبي بانتقالها إلى فترة ووضع اجتماعي أرفع وأعلى، فمنزلة المرأة المتزوجة أرفع من منزلة المرأة قبل الزواج، أو في مرحلة الطفولة، والمرأة في مرحلة الكبر والشيخوخة لها منزلة أعلى من المرأة الشابة، وهكذا.

نجد أن الفتاة قبل الزواج لا يكون لها دور كبير، لأن مشاركتها في الأعمال الاقتصادية لا تكون بشكل كبير، بخلاف المرأة بعد الزواج التي تحظى باهتمام كبير ومنزلة أعلى، حيث أنها تشارك بقوة في الأعمال الاقتصادية، فالفتاة لا تحصل في الكثير من الحالات على حق اختيار من تتزوج، إلا أنه بعد الزواج يُمكنها اتخاذ قرارات حاسمة، ولكن المرأة تورث مكانة المرأة في المجتمع النوبي إلى ابنتها، وهكذا، فهي أعراف وعادات تتوارثها الأجيال في المجتمع النوبي.

(1) المرجع السابق.

2- المكانة والدور الاقتصادي للمرأة النوبية:

المرأة في المجتمع النوبي لها مكانة مميزة في الجانب الاقتصادي فهي تشارك في مزاولة العديد من الأعمال الاقتصادية في المجتمع النوبي، حيث أنها تقدم يد العون للزوج وللأسرة بأسرها على تحمل أعباء ومسؤوليات الحياة المختلفة، حيث أن الأعمال الاقتصادية ونمط العمل الذي تمارسه والذي يتسم بالصعوبة الكبيرة، لا يتلاءم بشكل أو بآخر مع تكوينها البدني، وطبيعة المرأة بكونها أنثى، حيث أن التنشئة الأسرية والاجتماعية لها دور بارز في تنميط الدور الاقتصادي بناء على الجنس الاجتماعي، ودور الأم في الأسرة هو العامل الرئيسي المحرك لهذا التنميط.⁽¹⁾

إن الشكل النمطي لدورة المرأة الاقتصادية في المجتمع النوبي، يتسم بالتهميش مقارنة بالدور الذي يمارسه الرجل، بسبب أن الأعمال التي تقوم بها المرأة لا تحصل منها على أجر والنظر إلى عملها بأنه امتداد لنشاطاتها المنزلية التي تمارسها في البيت. فالأعمال التي تقوم بها المرأة تُمثل أكثر من ثلث الإنتاج الاقتصادي في العالم، وأن المرأة تعمل لعدد ساعات أكثر من الرجل بنحو 30%، حينما يتم الأخذ في الاعتبار العمل الزراعي، والمهام المنزلية التي تقوم بها، بالإضافة إلى الأعمال المأجورة التي تقوم بها.⁽²⁾

وقد احتلت المرأة في المجتمع النوبي منزلة رفيعة فيما يخص الأعمال الاقتصادية الإنتاجية، سواء تلك النشاطات التي تتم داخل البيت، أو خارجه على حد سواء، وتتميز تلك النشاطات التي تمارسها المرأة في المجتمع النوبي بالتنوع والموسمية، أي أنها تمارس أعمال مختلفة، ومنها ما يُمارس في مواسم وفترات معينة.

تُزاول المرأة في المجتمع النوبي الكثير من الأعمال الصعبة، وهي أنشطة تُشبع وتسد متطلبات بيتها وأسرته، على سبيل المثال رعاية الأطفال، وتجهيز الطعام، ونقل الماء، وجمع الحطب، وما إلى ذلك من الأعمال والأنشطة، التي تقوم بها المرأة بشكل

(1) جمان مجلي، (2016)، المرأة في البادية الأردنية، جامعة اليرموك، الأردن، ص 3.

(2) المرجع السابق.



دائم ومستمر، ولساعات كثيرة في اليوم، بجانب مزاولة أعمال في مواسم معينة تمثل مصدر إنتاجي هام للأسرة في المجتمع النوبي.

هذه الأعمال الموسمية تتسم باستهلاكها الوقت، ومن أهم هذه الأعمال منتجات الألبان، مثل اللبن، والسمن، والتي تُعد مصدر دخل رئيسي للأسر في المجتمع النوبي، وتمارس المرأة النوبية عملها، بجانب أنشطة أخرى مثل النسيج وكل أعمال المنزل، ويُعد النسيج من أهم المهن والحرف التي تقوم بها المرأة في المجتمع النوبي، ويتم توارثها عبر الأجيال.

الأنشطة والأعمال التي تزاولها المرأة تستمر ساعات طويلة من العمر والجهد، وهي تتميز بالتنوع، وتُمثل مصدر إنتاج أساسي للأسر في المجتمع النوبي، وهو ما أشارت إليه دراسات أجريت حول هذا الموضوع، والتي أكدت الدور الرئيسي الذي تقوم به المرأة في المجتمع النوبي سواء بالنسبة لأعمال المنزل أو لبعض الأنشطة الاقتصادية الأخرى.⁽¹⁾

إن تقسيم الأعمال والمهام في المجتمع النوبي لا يرتكز على الفروق البيولوجية بين الجنسين، حيث تمارس المرأة النوبية الكثير من الأعمال العسيرة والتي تحتاج إلى قوة بدنية وصلابة، والتي لا تتلاءم مع الطبيعة البيولوجية لها بل يتم توزيع الأعمال والمهام في المجتمعات النوبية بناء على النوع الاجتماعي، فالأعمال السابق الإشارة إليها التي تمارسها المرأة في المجتمع النوبي تنمط عبر عملية التربية والتنشئة الاجتماعية. فإن كان تتميط أدوار الجنس الاجتماعية بصفة عامة تحدث من خلال عملية التنشئة والتربية الأسرية، ومنظمات المجتمع المدني مثل المدارس، والإعلام بوسائله المتباينة، فإن العامل الأساسي في عملية تتميط أدوار الجنس الاجتماعي في المجتمعات النوبي هو التنشئة والتربية الأسرية المرتكزة على جهود الأم وكفاحها.

حيث أن دور المرأة الاقتصادي في المجتمعات النوبية عبر مزاولة الأعمال المتباينة، ولاسيماً الأعمال والأنشطة الإنتاجية يمنح المرأة دور كبير وهام في المجتمع

(1) المرجع نفسه.

ويمنحها الفرصة للمشاركة في القرارات الأسرية المختلفة، كما يمنح المرأة النوبية إحساس بالاستقلالية، والشعور بالقيمة، حيث أن مشاركة المرأة في القرارات المختلفة التي تصدر داخل البيت يعتمد على مشاركتها في تلبية متطلبات أسرتها وبيتها، مما يضعها في حالة من الاستقلال والثقة بالذات، وعدم الارتكاز على الغير.⁽¹⁾

إن إجمالي الأعمال والأنشطة التي تمارسها المرأة في المجتمع النوبي بمفردها ولاسيماً الأنشطة الإنتاجية تمنح المرأة دور بارز في عمليات اتخاذ القرارات الخاصة بالأسرة وكل ما له علاقة بأمور البيت، كذلك يمنحها الإحساس بالاستقلالية والشعور بقيمتها.

والسبب وراء قدرة المرأة على المشاركة في عمليات اتخاذ القرار في المجتمع النوبي يرجع إلى مشاركة المرأة الفعالة في تلبية وإشباع متطلبات الأسرة المختلفة، التي تضعها في وضعية مُستقلة غير معتمدة على الغير، فالمرأة بالنسبة للأنشطة الاقتصادية يُمكنها التكفل بكل مهام المنزل إن غاب الرجل، سواء للطلاق، أو الموت، أو لأي سبب آخر، قادرة على تلبية متطلبات أسرتها المختلفة.

وبناء على ما سبق يظهر بكل وضوح أن المرأة النوبية عماد أساسي من أعمدة النشاط الاقتصادي في المجتمع النوبي، فهي تمارس الكثير من الأنشطة والأعمال الاقتصادية التي تساهم في تلبية متطلبات الأسرة وتوفر مصدر دخل جيد يعين الأسرة على قضاء حوائجها، وأن هذا الدور يمارس دور رئيسي في تعزيز مكانة المرأة النوبية، فكلما أصبحت هذه الأخيرة قادرة على تلبية متطلبات أسرتها كلما ارتفعت منزلتها وباتت أكثر قدرة المشاركة في اتخاذ قرارات الأسرة المختلفة.

3- نشأة وتربية المرأة النوبية:

بالرغم من أن المرأة في المجتمع النوبي وعلى مر التاريخ لها دور كبير في النشاط الاقتصادي والمنزل كما سبق وأوضحنا، غير أن المرأة ظلت مُقيّدة بعادات وأعراف

(1) المرجع السابق، ص 4.



المجتمع النوبي، هذه القيود جعلت المرأة تسير في فلك ما يحدده الرجل والمجتمع من عقبات وقيود عليها، أجبرها على أن تكون رهينة للقرار الأسري والعائلي ومساحة الحركة المُتاحة له وخارجه، مع الأخذ في الاعتبار أعراف ومُبررات تبرر ظلم المرأة، وفي الوقت نفسه فإن المرأة في المجتمع النوبي لا تسعى إلى تطوير وضعها ومكانتها في المجتمع في ضوء سياسات حضارية وإنسانية تُحيط بها في أطر الأعمال المنزلية، الشيء المُلفت للانتباه أن الأم تلعب دور كبير في نقل الفكرة الدونية للأنثى للفتاة عبر عملية التنشئة وتجهيزها للحياة في الأوضاع ذاتها التي مرت بها الأم.

وبناء على ما تم طرحه يظهر أن التراث الشعبي المتوارث عبر الأجيال لا يرفع من منزلة المرأة بالشكل المطلوب فالمرأة في التراث الشعبي النوبي عليها أن تبقى في منزلة متواضعة ولا ينبغي أن تتخطى هذه المنزلة ولا بد وأن تبقى فيها بشكل مستمر مهما حدث، حتى وإن مارست المرأة أنشطة اقتصادية متعددة إلا أن منزلتها لا بد وأن تكون أقل من الرجل بكثير.⁽¹⁾

4- المرأة النوبية والزواج:

بالرغم من الالتزام الاجتماعي للمرأة في المجتمع النوبي غير أنه توجد إشكالية إنسانية لا يمكن غض الطرف عنها ما زالت راسخة وهي مسألة اختيار شريك الحياة وقرار الزواج في معظم إن لم يكن كل الحالات في المجتمع النوبي يكون قرار الأب والأسرة في المقام الأول، وفي العديد من الأوقات لا تُسال المرأة عن رأيها في الزوج قبل عقد الزفاف، أي بعبارة أخرى أن النقاش حول الزواج بالموافقة أو الرفض يتم بين الآباء والأسر دون أن تحصل المرأة على أدنى فرصة لتقرير حقها في الزواج أم لا.

من أبرز أنواع الزواج الشائعة في المجتمعات النوبية زواج الأقارب ولاسيماً أبناء العمومة، فما زال المجتمع النوبي يعرف هذه الصورة من صور الزواج، وذلك بالرغم من مساوئ وأضرار هذا الزواج، سواء الأضرار الاجتماعية، أو الأضرار الصحية،

(1) علي عفيفي علي غازي، (2018)، المرأة النوبية في كتابات الرحالة الغربيين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ص 10.

ولاسيماً ولادة أبناء مصابة بعاهاات بدنية وعقلية نتيجة لصلة الدم، وتشابه الجينات بين الأب والأم.⁽¹⁾

فصلة الدم يترتب عليها في بعض الحالات ولادة أطفال مع أمراض بدنية وعقلية، والحقيقة أن آلاف الحالات المرضية بين الأطفال تكون في الكثير من الأوقات بسبب زواج أبناء العمومة، فالمرأة في المجتمع النوبي لا تملك حق تقرير مصيرها، فلا تستطيع الفتاة أن ترفض الزواج من ابن عمها تحت أي ظرف من الظروف.

فالتراث النوبي يرفع من منزلة الزواج فهو علاقة مقدسة لا يمكن المساس بها، ولكنه يضع قيود معينة لممارسة هذه الظاهرة، فنجد أن المجتمع النوبي لا يتقبل فكرة الزواج من خارج المجتمع النوبي، وإن حدث ذلك فيكون استثنائي ونادر الحدوث، ولاسيماً من جهة المرأة، فالمرأة في المجتمع النوبي بالرغم من مكانتها ومنزلتها غير أنها ما زالت تعاني من القيود التي يفرضها التراث وتفرضها الثقافة، من ناحية أخرى نجد أن التراث الشعبي النوبي يمنح الشاب بعض من المرونة في الزواج من خارج المجتمع النوبي.⁽²⁾

وبناء على ما سبق يظهر أن التراث الشعبي في المجتمع النوبي يرى أن المرأة النوبية لم تصل بعد إلى المرتبة التي تجعلها قادرة على اتخاذ القرارات الخاصة بها بمفردها، ففي قضية الزواج وهي من أهم إن لم تكن أهم القضايا الخاصة بالإنسان، لا يحق للمرأة النوبية التعبير عن رأيها في هذه القضية المصيرية.

5- مكانة المرأة النوبية في الماضي:

في الماضي لم يكن للمرأة النوبية مكانة، فبالرغم من كونها تمارس أنشطة اقتصادية كثيرة في المجتمع النوبي قديماً، وكونها عماد النشاط الاقتصادي، ولا يمكن للمجتمع الاستمرار بدونها إلا أنه لم يكن لها منزلة تُذكر على الإطلاق، ولم يكن لها رأي، فهي

(1) المرجع نفسه ص 11.

(2) مجموعة من الباحثين، (2018)، مشاركة النساء في السلام_ الأمن والعمليات الانتقالية في العالم العربي، مؤسسة فريدريش إيبيرت، ص 100.



تقوم بتنفيذ الأوامر والتعليمات فقط، ولم يكن لها الحق في إبداء الرأي، وكانت الأسر في ذلك الوقت في حالة تنقل وترحال مستمر وراء العشب والماء هذا بالنسبة للنوبيين الرعويين، ولم يكن يحق للمرأة التعليم، وكان التعليم غير سائد في المجتمع النوبي إلا باستثناء عدد قليل جداً من الأشخاص، وكان التعليم في ذلك الوقت يقتصر على القراءة والكتابة فقط، ولم يكن للمرأة أي حق في التعليم، حتى في أبسط صوره، فقد حرمت من هذا الحق، ولم يكن لها الحق في إبداء الرأي في الزواج أو الرفض، على الإطلاق، وكان يتم حجزها للشباب والذي في الغالب ما يكون من العشيرة أو العائلة، أي وصلت لأعلى مستويات التهميش والإقصاء.

وبناء على ما تم طرحه يظهر أن التراث الشعبي النوبي ما زال يرفض فكرة تطور المرأة ورفع منزلتها ولعل رفض المجتمع النوبي لفكرة تعليم الفتاة النوبية خير برهان على ذلك فالتعليم هو الوسيلة والطريقة الأفضل لرفع مكانة ومنزلة الإنسان، وحرمان المرأة النوبية من هذا الحق يضمن بقاء المرأة النوبية في منزلتها المتواضعة وضمان عدم خروجها من هذه المنزلة.⁽¹⁾

6- مكانة المرأة النوبية في الحاضر:

بالرغم من أن المرأة في المجتمع النوبي ما زالت لم تصل إلى منزلة المرأة في المجتمعات غير النوبية، إلا أن مكانة المرأة النوبية في الحاضر تباينت كثيراً وتطورت عن مكانتها في الماضي، حيث بات للمرأة منزلة رفيعة، وهذه المنزلة ترتفع كلما تقدمت المرأة في العمر، وبعض العائلات تسمح للفتاة بالتمتع بحق التعليم، حتى وإن اقتصر على الصفوف الابتدائية، إلا أن هذا الوضع تغير عن الماضي الذي سُلِبت فيه الفتاة هذا الحق تماماً، وفي بعض العائلات والعشائر بات يحق قبول أو رفض الزواج ولكن في حدود ضيقة، ويمكن إرجاع ذلك إلى شبه الاستقرار الذي تشهده العائلات والبقاء بجوار المدن والمناطق الحضرية، بلا ريب كان له تأثير على ثقافة وأفكار المجتمع النوبي.

(1) علي عفيفي علي غازي، مرجع سابق، ص 11.

7- المرأة النوبية والقضاء العرفي:

تعتبر الجلسات العرفية واحدة من أشهر الطرق التي يلجأ إليها الأفراد في المجتمع النوبي وصعيد مصر لحل الخلافات التي تنشأ بين الجماعات والعشائر، فطيلة قرون كانت الجلسات العرفية هي الوسيلة المناسبة لحل الخلافات الطائفية ومنع انتشارها وتمددتها، ونجد أنه نادراً ما شاركت المرأة النوبية في عملية صناعة واتخاذ القرارات التي تؤدي إلى اندلاع نزاع مسلح دامي، ومن ناحية أخرى نجد أن المرأة النوبية هي من تأخذ على كاهلها مهمة حماية النظام والبنیان الاجتماعي في ظل الصراعات الدامية ولا تدخر جهد في سبيل ضمان توفير حياة طبيعية قدر المستطاع.⁽¹⁾

من ناحية أخرى تتحمل المرأة في العديد من الأوقات جزء غير متكافئ من تداعيات الحرب والنزاعات المسلحة بالرغم من أنه ليس دور بشكل أو بآخر في اندلاع مثل تلك النزاعات، غير أن كونها كائن ضعيف يجعلها عرضة للمعاناة من جانب أطراف الصراع المسلح.

وبناء على ما تم طرحه يظهر أن المرأة في التراث الشعبي لا تمتلك الأهلية والقدرة التي تجعلها قادرة على اتخاذ قرارات مصيرية، بالرغم من كونها أكثر المتضررين من القرارات الخاطئة التي تتخذها المجالس العرفية.

8- النظرة الإيجابية للمرأة النوبية:

بالرغم من أن المرأة النوبية قد عانت من التهميش إلا أنها تحظى بمكانة ومنزلة رفيعة في المجتمع، فقد أولت المجتمعات النوبية الأمهات وظيفة ومسؤولية حماية المجتمع والحفاظ عليه من المخاطر، والحفاظ على المجتمع بترائه وتاريخه وعاداته وتقاليده، ولغته، وقد استخدمت النساء طرق كثيرة لعدم المساس بالترابط الأسري ولحل الخلافات، وفي مقدمتها استعمال اللغة النوبية داخل نطاق الأسرة، حيث أن هذه اللغة هي الأساس والأصل لجميع أبناء المجتمع النوبي، وفي المرتبة الثانية تحل اللغة العربية، ويعزز استعمال اللغة النوبية الولاء والانتماء إلى الحضارة النوبية والثقافة

(1) مجموعة من الباحثين، مرجع سابق ص 109.



والتراث النوبي، ويعزز ويرفع من مستوى إحساس الأشخاص بتقرد تراثهم وامتداد أصلهم.⁽¹⁾

وبسبب أهمية اللغة النوبية فنجد أن هناك العديد من الباحثين في وقتنا الحالي يبذلون قصارى جهدهم لفك شفرات حروف اللغة النوبية لضمان عدم ضياعها وانقراضها كما انقرضت العديد من اللغات في العالم، من ناحية أخرى تحرص المرأة في المجتمع النوبي على تعليم الأطفال اللغة النوبية حتى بعد الانخراط والاندماج في المجتمع المصري، لاسيماً في المدارس العامة المملوكة للدولة التي تفرض استعمال اللغة النوبية فحسب.

يسند المجتمع النوبي إلى المرأة وظيفة ودور في غاية الأهمية وهو وظيفة القيام بعملية التنشئة الاجتماعية، حيث تتولى المرأة النوبية مهمة زرع الأفكار والقيم والمبادئ السلمية في نفوس الأطفال، بداية من احترام الأسرة، وتعزيز الولاء والانتماء للنوبة القديمة تلك التي لم يراها الصغار مطلقاً، غير أن الأمهات والجندات ما زلن يتحلىين بأمل الرجوع إليها.

لقد ظهر دور المرأة النوبية بشكل جلي بعد عمليات التهجير التي تعرض لها أهل النوبة، حيث تولت المرأة النوبية الدور الرئيسي للحفاظ على العادات والتقاليد والأعراف النوبية، بداية من طقوس ومراسم الزواج وصولاً إلى الروابط الإنسانية التي كانت وما زالت من أبرز العلاقات التي حافظوا عليها.

وبناء على ما سبق يظهر أن التراث والمجتمع النوبي وإن كان لم يصل بعد إلى المستوى المنشود من الاعتراف بأهمية ومنزلة المرأة إلا أنه يدرك أنها ركن أساسي في المجتمع وأن حماية التراث والهوية النوبية تعتمد في المقام الأول على المرأة لأنها من تتولى عملية التنشئة الاجتماعية، وهذه الأخيرة هي المسؤولة عن نقل التراث والثقافة بين الأجيال، وهذه العملية تقوم بها المرأة بشكل أساسي.⁽²⁾

(1) المرجع نفسه، ص 99.

(2) سهير حسين الدمنهوري، آليات تدعيم ثقافة العمل الحر لدى المرأة النوبية _ دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا، مجلة الدراسات الإفريقية، مج 45، ع3، ج2، 2023، ص 232.

9- الفن:

التراث الشعبي النوبي يعكس مدى أهمية المرأة في المجتمع النوبي خاصة فيما يتعلق بالفن، فالمرأة في التراث الشعبي النوبي هي جدار حماية الفن، فعلى سبيل المثال نجد أن أهالي النوبة قد عانوا من عمليات التهجير مراراً وتكراراً، وفي كل مرة أجبر أبناء المجتمع النوبي على ترك أماكنهم والرحيل، ازداد تشبث النساء أكثر وأكثر بنقل الزخارف والتصاميم والنقوش النوبية ووضعها ورسمها على جدران البيوت التي ينتقلون إليها بعد التهجير، كذلك لم تدخر المرأة في المجتمع النوبي جهد في الحفاظ على فن النحت وزخرفة الأواني، وذلك بعد أن خسرت القرى النوبية معالم المنازل النوبية التقليدية المبنية من الطوب اللبن بقبابها الصغيرة التي تقلل من درجات الحرارة.

وبناء على ما سبق يظهر بما لا يقبل الشك أن المرأة النوبية عنصر رئيسي لحماية التراث والثقافة النوبية خاصة في العصر الحديث بعد أن وجد أهل النوبة أنفسهم مجبرين على الرحيل والهجرة مراراً وتكراراً لأسباب مختلفة، فالمرأة النوبية تمكنت من الحفاظ على عناصر ومكونات التراث الشعبي النوبي أثناء تنقلها من مكان لآخر وهذا يضاف إلى وظيفة المرأة النوبية السامية في نقل التراث النوبي عبر الأجيال.⁽¹⁾

10- الحكى:

تقوم المرأة بالدور الرئيسي في عملية نقل التراث الشفهي من خلال الحكاية والقصة الشفاهية التي يتم توارثها عبر الأجيال، وفي الغالب ما تتولى الجدة أو الأم هذه الوظيفة، ونوه هنا إلى الدور الرئيسي الذي مارسته الحكاية النوبية في الحفاظ على التراث الشعبي النوبي على مر الأجيال بالرغم من الظروف والأوضاع العسيرة التي عانى منها أهل النوبة وما زالت تهدد حياتهم ومجتمعهم المتماسك.

ومن أبرز النساء في المجتمع النوبي اللواتي اشتهرن بسرد الحكايات "زينب كوتود" والتي تصنف على أنها رائدة الحكى النوبي، ووضعت كافة قصصها وحكاياتها النوبية

(1) المرجع السابق.



في مجموعة قصصية تولت مكتبة الإسكندرية نشرها للجماهير في إطار مشروع يستهدف بث الروح من جديد في التراث النوبي.⁽¹⁾

في القصص التراثية والحكايات الشعبية النوبية مارست المرأة دور البطولة في عشرة قصص وحكايات "حواديت" من إجمالي 15 حكاية متداولة بين أبناء المجتمع النوبي، وهذا يوضح منزلة المرأة في المجتمع النوبي، فقد تناولت هذه القصص والحكايات المرأة النوبية في مختلف مراحل حياتها بداية من مرحلة الطفولة وصولاً إلى الزوجة والأمومة والجدّة، من ناحية مارس الرجل دور البطولة خمسة مرات فحسب، وفي هذه المرات كانت المرأة شريك رئيسي في عملية تغيير الأحداث والأوضاع.

وبناء على ما سبق يظهر أن التراث الشعبي يرتبط ارتباط وثيق بمكانة ومنزلة المرأة فالتراث الشعبي النوبي يرسم ويحدد طبيعة مكانة ومنزلة المرأة، ومع ذلك فإن هذا التراث لم يعطي المرأة النوبية كل ما تستحقه فقد ساهم التراث في تحجيم وتقييد المرأة وسلبها الكثير من حقوقها، وأنه وإن أنصفها التراث في مواضع كثيرة إلا أنه لم ينصفها بالشكل الكافي.

• خاتمة:

خلاصة القول إن التراث الشعبي النوبي رسم الإطار الذي تتحرك فيه المرأة النوبية فمن ناحية قد أعطى التراث الشعبي المرأة النوبية بعض من حقوقها كحقها في المشاركة في العمل والأنشطة الاقتصادية باعتبارها عضو فاعل في المجتمع، كما منحها الدور الرئيسي في عملية التنشئة الاجتماعية والتي عبرها يتم تناقل التراث الشعبي النوبي، كذلك منحها التراث الدور الأهم في حماية التراث الثقافي الشعبي، ومن ناحية أخرى سلبت المرأة النوبية الكثير من الحقوق ما جعلها في منزلة متواضعة عاجزة عن الخروج منها بالرغم من أدوارها الفاعلة في المجتمع.

(1) مجموعة من الباحثين، مرجع سابق، ص 101.

• مراجع الدراسة:

- أسماء بن تركي، (2020)، الهوية الثقافية بين قيم الأصالة والحداثة في ظل التغيرات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- أنتوني غدنز، (2005)، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
- بلالي عبد المالك، (2016)، مدخل إلى علم الاجتماع الثقافي. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين_ سطيف 2.
- ثناء هاشم محمد، (2019)، الهوية الثقافية والتعليم في المجتمع المصري: رؤية نقدية، مجلة كلية التربية، جامعة بني سويف، عدد يناير، ج1.
- جمان مجلي، (2016)، المرأة في البادية الأردنية، جامعة اليرموك، الأردن.
- حامد زهران، (1997)، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة.
- خميس حياة، (2021)، التراث الشعبي (المفهوم والأقسام وأساليب جمعه)، مجلة الدراسات الأكاديمية، مجلة الدراسات الأكاديمية، مج3، ع4.
- دنيا زاد موساوي، وإبراهيم بلعادي، (2018)، اتجاهات الطلبة الجامعيين نحو المكانة الاجتماعية للمرأة في المجتمع الجزائري: دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة آفاق للعلوم، ع (13).
- زينب عبد التواب رياض، (2024)، العادات والتقاليد المرتبطة بالزواج والحمل والولادة في المجتمعات النوبية بين التراث والموروث، الثقافة الشعبية، أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، مج17، ع65.
- سماح محمد حلاوة، وجمال محمد عبد البر أبو الوفا، ونسمة عبد الرسول عبد البر، (2023)، حماية مكانة المرأة وتمكينها على ضوء متغيرات العصر والاتجاهات العالمية المعاصرة: رؤية نقدية ونظرة تربوية، مجلة كلية التربية، جامعة بنها، مج (34)، ع (135)، ص ص: 645-676.
- سهير حسين الدمنهوري، (2023)، آليات تدعيم ثقافة العمل الحر لدى المرأة النوبية_ دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا، مجلة الدراسات الإفريقية، مج 45، ع3، ج2.



- صلاح الدي شروخ، (2004)، علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر.
- علي عفيفي علي غازي، (2018)، المرأة النوبية في كتابات الرحالة الغربيين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- كرم أحمد حسن أحمد، (2021)، السمات التربوية المميزة للمجتمعين النوبي والسيوي في مصر على ضوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الثقافة والتنمية، جمعية الثقافة من أجل التنمية، س 21، ع169.
- لينا نجيب فويله، (2023)، نمط حياة المرأة النوبية وحُليها التقليدية كمصدر إلهام لتصميم الأثاث المعاصر، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، مج 8، ع42.
- مجموعة من الباحثين، (2018)، مشاركة النساء في السلام_ الأمن والعمليات الانتقالية في العالم العربي، مؤسسة فريدريش إيبيرت.
- نظمي فارس كمال، (2001)، الاعتقاد بعدالة العالم وعلاقته بالثقة الاجتماعية المتبادلة لدى طلبة الجامعة، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب.
- وائل محمد كامل السيد، (2020)، رؤية معاصرة لمفهوم التراث النوبي في التصميم الداخلي للمنشآت السياحية، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، عدد خاص.

